عبيدالله وأبناؤه الثلاثة

(١)

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

عبيدالله وأبناؤه الثلاثة

بصري وعلوي وجديد

(٢٩٥ – ٣٨٣ هـ)

الغلاف الداخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنّا أَعْطَيناكَ الكَوْثَر . فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾

لِسَانُ الحَال

وكم بُدُورٍ بذاك الحَيِّ قد بَرَزَتْ
تَمُدُّ زُوّارَها مِن فَيضِها الزَّخِرِ
وكَمْ غُرَيبيَّة الأسرارِ قد غَمَرَتْ
بفَضْلِ هَطَّالِها الزُّوَّارَ كالمَطَرِ
أَئمَّةُ الدِّينِ آلُ المُصْطَفَى فلَهُمْ
مَكارِمٌ عَدُّها يَرْبُو على الزُّهُرِ
وُرَّاثُ طه على التَّحْقِيقِ إنَّ لَهُمْ
محَاسِناً أَدْهَشَتْ أَلْبابَ ذِي الفِكَرِ

الشيخ علي بن أبي بكر السكران
« الغرر » ص١٠١

الإهداء

إلى شُيُوخِي الأفاضل..

بَقِيَّةِ السَّلَف.. وأمثلةِ الطَّرِيقِ في الخَلَف..

وإلى أحفادِ الإمامِ المهاجرِ في مشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها..

وإلى الرَّاغِبِينَ في التَّعَرُّفِ على نَماذِجِ « السَّفِينَةِ الَّتي مَنْ رَكِبَها نجَا ، ومَنْ تخَلَّفَ عَنها هَلَكَ » .

المُؤَلِّف

سلسلة النسب الشريف

عبد اللّه بن أحمد المهاجر ابن عيسى ابن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام السبط الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة زهراء البتول بنت المصطفى محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

ولادته ونشأته

ولد الإمام عبيد اللّه بن أحمد في مدينة البصرة من أرض العراق الخصيب، وفيها نما وترعرع وتلقى أولويات معارفه وعلومه تحت ملاحظة والده الإمام المهاجر ، وهو أصغر أولاد أبيه ، كانت ولادته عام ٢٩٥ تقريبا ، وهاجر مع أبيه وهو ابن عشرين سنة[١] .

وأما إخوتُه فهم محمد ، وعلي ، والحسين ، وهؤلاء استقروا بالبصرة مع ذراريهم ، ولم يهاجر منهم أحد[٢].

نبغ الإمام عبيد اللّه في علوم عصره حيث زَجَّ به والده مبكراً في واقع الحياة العلمية فاستوعب واستفاد علماً وعملاً وتجربةً ، وقد

---

(١) عن كتاب ((الإمام المهاجر)) بتصرف ص٦٣ .

(٢) المصدر السابق.

كانت البصرة آنذاك من أهمِّ عواصم العلم والحركة التجارية والفكرية .

عاصر الإمام عبيد اللّه مع إخوته همَّ الأب الحريص على التربية وحسن السلوك ، كما استشعر عبيد اللّه ما يجيش في صدر والده من هم الفتن المحيطة بالبيت المبارك ، خصوصاً فيما يتعلق بتربية الأبناء والأحفاد في مجتمع البذخ والمال والمتع المتاحة لآل البيت مع علو الجاه ، حيث كان آل البيت بعد ما أصابهم عبر المراحل يحظون بالعطف الكبير من المحبِّين ، وتَهَيَّأَتْ لكثيرٍ منهم أسباب الثراء وإفاضة الأموال ، مما حدا ببعض أبناء هذا البيت أن يميلوا إلى التنعم والترفه والإفراط في المتع ، حتى إن بعضهم قد تنتظره ثلاثون وصيفة بالنَّدِّ والبخور لدى خروجه من مغتسله[١]، إضافة إلى هموم الفتن الماحقة الساحقة التي جعلت البصرة وما حولها تغلي كالمرجل، وتشهد الفظائع والجرائم والتقتيل، وتمزيق الأعراض ، كفتنة الزنج ، وفتنة القرامطة وفتنة الصراع بين السنيين والشيعة ، وغيرها .

ولهذا فقد كان عبيد اللّه من أول المباركين خطوةَ والده في

---

(١) من ((مذكرة الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف)) ، نَسَبَها إلى مصدرٍ تاريخيٍّ قديمٍ .

البحث عن موطن آخر تنشأ فيه الذرية المباركة نشـأة سـليمة ، وكان هو أيضا الفتى المختار من بين إخوانه للمرافقـة في رحلـة الانتقال عن البصرة .

لم يأت موعد الهجرة من العراق إلا وعبيد اللّه بن أحمد قد أَعَدَّ العُدَّة مع أهله وزوجته أم البنين بنت محمد بن عيسى بـن محمـد للرحلة مع والدها إسماعيل الذي عرف فيما بعد بلقب بصري .

خرج عبيد اللّه مرافقاً لركب والده الإمام المهاجر عبر طريـق الشام مرحلةً بعدَ مرحلةٍ حتى المدينة المنورة، ومعهم كل من جـد السادة الأهادلة وجد السادة آل القديمي كما ذكرت كتب التاريخ، وهناك أبصرتْ عينُ الشابِّ المتطلِّعِ إلى منبع أصالته وأَرُومَتِه.. أبصر موطنَ آبائه وأجداده.. حيث يَأْرِزُ الإيمان ، وتهفو الأفئدة ، وآوى إلى ذلك المسجد المبارك يتأمل الروضة الشريفة حيث كان جـده المصطفى صلى اللّه عليه وسلم يجلس ويصـلي ويخطـب ويجهـز الجيوش في سبيل اللّه ، كما وقف أمام الضريح يسلم على الأصـل النير والأب الخير ، وقلبه مفعمٌ بالاطمئنان بعد أن بلغ مدينة سـيد ولد عدنان صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وزار البقيع حيث يرقد آل البيت ، دوحـة الأصـل وأسـاس

الوصل، بدأ بضريح أمه البتول الزهراء ومن حولها من الأئمة الأطهار ، ثم مراقد بنات الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم ، ثم مراقد زوجاته أمهات المؤمنين ، ومراقد عمّاته ، ثم مراقد الشهداء وضرائح الصحابة الكرام ، كما زار بقية الآثار المباركة والمشاهد الكريمة ، وكان العديد من شباب آل البيت في المدينة المنورة يرافقونه ، كما يرافقون ركب المهاجر في زياراته وتجولاته في المدينة المقدسة .

وفي ذلك العام ٣١٧ دخل القرامطة إلى مكة المكرمة ولم يتورعوا عن سفك دماء الحجاج وردم بئر زمزم بجثثهم ، فكان هذا الفعل باعثاً للإمام عبيد اللّه وهو بالمدينة أن يشرح أخبار القرامطة وأفاعليهم البشعة في البصرة، ويحكي — مثل غيره من مرافقيه — نكبات البصرة وحرقها وتشريد أبنائها وانتهاك أعراض نسائها ، والمناداة في الأسواق على المرأة بدينار بما لم يُسبق له مثيلٌ في التاريخ، وحَمِدَ الجميع مولاهم أن كانوا في هذه الفترة الحرجة يأوون المدينة المنورة .

ومع قرب موسم الحج من العام التالي ٣١٨ تجهَّزَ عبيد اللّه ومعه أهله لمرافقة الركب المبارك الذاهب إلى الحج ، وفي كل موقع من

مواقع المناسك كان الإمام عبيد اللّه بن أحمد يتذكر تاريخ الإسلام، وعظمة الدعوة النيرة التي جاء بها خير الأنام صلى اللّه عليه وآله وسلم . وآلمه أن يرى الركنَ الأسعد من الكعبة – موقعَ الحجر الأسود – خالياً بعد أن حمله القرامطة في العام الماضي معهم إلى الأحساء ، و لم يجد بُدّاً من لمس موضع الحجر وتقبيله عوضاً عن الحجر المفقود .

واغتبط عبيدُ اللّه بن أحمد أيَّما اغتباط وهو يشهد التفات الحجيج على والده الإمام المهاجر يطلبون منه الدعاء ، ويأخذون عنه دُرَرَ العلم ، ويستظلون بفيئه الوارف ، ويسيرون خلفه حيث سار يهتدون بهديه ويؤمِّنون على دعائه ، واستأنس غاية الاستئناس بما شاهده من تعلق حجاج حضرموت وإلحاحهم على والده كي يرحل إلى بلادهم ، مؤكدين رغبتهم في الأخذ عنه والدفاع عنه والسير في ركابه ، واستشعر ميل والده إلى تلبية رغبتهم ، والنزول عند طلبهم .

ولذلك لم يكن الأمر غريباً عليه عندما وَجَّهَ الإمامُ المهاجر سيرَ القافلة نحو اليمن بعد انقضاء موسم الحج ، شهد عبيد اللّه سير القضاء والقدر في توزيع ركب آل البيت بين تهائم اليمن ، فحَلا

المقامُ للإمام محمد بن سليمان الأهدل ببلاد المراوع ـة ، واخت ـار الشريف أحمد القديمي الن ـزول بوادي سُردد ، بينما ظَلَّ وال ـدُه مصمِّماً على المُضِيِّ قُدُماً من مدينةٍ إلى أخرى ومن سهلٍ إلى جبلٍ حتى بلغ وادي حضرموت ، وعَلِمَ أَنَّ في الأمر سِرّا لا يَظْهَ ـرُ إلا فيما بعدُ .

تكيف الإمام عبيدالله بن أحمد مع واقع حضرموت

منذ أن حل الإمام المهاجر بقرية الجبيل بوادي دوعن أدرك عبيد اللّه بن أحمد ما ينتظره من المجاهدة والصبر في سبيل تحقيق ما كان والده يصبو إليه ، حيث رأى شَظَفَ العيش وبداوة القوم واتِّس ـاع خرق الخلاف بين فئات الإسلام من سُنِّيِّين وخوارج ، فل ـم ي ـألُ جهداً — منذ اللحظة الأولى — في صرف جُلِّ وقته بين يدي والده الإمام ملبياً حاجته ، مساعداً له في هذه المهمة الشاقة ، حتى ظهرت عليه دلائل الرضا والفرح والاستئناس بثمرات الجه ـد المب ـذول ، وصار من كل يوم وليلة يزيد من هذا الجهد ، ويسعى إليه راغب ـا بعد أن شهد آيات القبول .

الإمام عبيدالله والرحلة في طلب العلم

توطد المقام النبوي في وادي حضرموت على يد الإمام المهاجر ، وكان ولدُه – عبيد اللّه – على مدى المراحل كلها خيرَ رفيقٍ ومساعدٍ ، سواءً كان الحال في بداية الأمر والإمام المهاجر في الجُبيل ثم الهجرين ثم قارة بني جُشَير ، أو بعد أن توطد المقام للإمام في قرية الحُسَيِّسَة والتفاف الجميع تحت رايته .

وفي هذه المرحلة المثمرة أشار الإمام على ولده بالازدياد من طلب العلم، خصوصاً بعد أن صار الجميع في حضرموت يَتَلَهَّفُون للتَّلَقِّي من مَعِينِ أهل السُّنَّة ، ويرغبون في الأخذ عن أهل البيت ، فتوجه عبيد اللّه بن أحمد إلى الحرمين الشريفين وهما آنذاك من أهم مصادر علوم أهل السنة، وملتقى علماء الخافقين ، ومكث بمكة المكرمة عدةَ أعوامٍ مُكِبّاً على التحصيل ، وآخذاً عن كلِّ شيخٍ حَفِيل ، وكان من أهم من أخذ عنه وانتفع به الشيخ أبوطالب المكي محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، شيخ أهل السنة ، وصاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ .

وكان الإمام عبيد اللّه بن أحمد قد قرأ عليه « قوت القلوب » وأخذ الإجازة والسند من أبي طالب المكي في كافة أسانيده

ومروياته ، ومن كثرة مجالسة الإمام عبيد اللّه لأبي طالب تأثَّر كثيراً بنَفَسِه الصوفي ، حتى قيل عنه: « إنه أوَّلُ مَن تَنَفَّسَ الأنفاس الصوفية بحضرموت » .

تصدر الإمام عبيداللّه في حضرموت

أجمع المؤرخون على ظهور الإمام عبيد اللّه بحضرموت بعد عودته من الحرمين ظهوراً كبيراً ، وكان والده الإمام المهاجر أول المباركين ذلك والساعين إليه ، بل أَذِنَ له أن يجلس للإفتاء والتدريس فيملأ بعلمه المحراب ، وأبدع في تبليغ ثمرات الكتاب والسنة ، وتهيأ للخلافة بين يدي والده ، إذ لم يَشُذَّ أحدٌ أثناء تصدُّره ، بل كانوا إلى ازدياد .

ولما جرى الأمر المحتوم على والده الإمام المهاجر ، آلت إليه الخلافة دون منازع ، وكان أحقَّ بها وأهلَها ، فظهر عَلَمها بارزاً وأدَّى ما لزم به على أكمل الوجوه ، بل اقتدى بوالده في كافة شؤونه ، ومن ذلك أنه وهب كافة أراضيه وأملاكه في الحسيسة لمولاه جعفر بن مخدم ، وانتقل عنها إلى قرية سُمَل ، وهي ليست ببعيدةٍ عن الأولى ، واتخذ له فيها داراً واشترى عقاراً وغَرَسَ نخيلاً

وأشجاراً ، وتزوَّج من تلك القرية بامرأةٍ ولدت له ابناً سماه جَديداً، وقد وُلِدَ له من قبلُ ولدٌ سماه عَلَوِيّاً ، وستأتي ترجمتهما جميعا.

ومن هذه القرية المتواضعة استمر نشاط الإمام عبيد اللّه كما كان والده من قبل ، وانتفع به خَلْقٌ كَثِيرٌ ، كما بذل جهوداً عظيمةً في سبيل زيادةِ العمل الزراعي واستغلال ثمراته ، فكان ينفق على الفقراء الأرامل والأيتام والمساكين ، وينفق على طلبة العلم وعلى المنقطعين والمسافرين ، مع غاية من التواضع والانكسار والمواظبة على الأعمال الصالحة آناء الليل وأطراف النهار .

وكان اسمه منذ ولادته « عبد اللّه » إلا أنه من شدة تواضعه وانكساره رغب في أن يُصغَّر اسمه فيدعى « عبيد اللّه » فثبت الاسم بالتصغير ، وهو في الحقيقة بالعلم والتواضع كبير .

وقضى الإمام عبيد اللّه بعد والده ردحاً من الزمن يرسي دعائم المدرسة النبوية مدرسة الأخلاق والأخوة الإيمانية ، وينشئ عنها جيلاً من أبناء حضرموت ينطوون تحت راية آل البيت من جهة، ويوحدون القطر المبارك على منهج أهل السنة والجماعة .

ولما بلغ الإمام عبيد اللّه من العمر ثلاثة وتسعين عاماً قرَّت عيناه بأولاده الثلاثة الذين برزوا في مجال الخلافة من بعده ، فمات رحمه

اللّه تعالى بعد أن علم أن ميراث المهاجر بأيد أمينة تحافظ عليها وتوسع دائرة نشره بين الناس ابتغاء رضوان اللّه ، وهم بَصْرِيٌّ وعَلَوِيٌّ وجَدِيد .

وكانت وفاة الإمام عبيد اللّه عام ٣٨٣ ، واختلفوا في موقع دفنه، فقيل: إنه دفن في قرية سُمَل ، وقيل : إنه دفن في العرض النجدي قرب مدينة بُور، ولم يُبْقِ لنا الزمن أيَّ أثرٍ من الآثار المعاصرة له برغم كثرة ما مدحه الشعراء وما وصفوه به من الخير والتقى في عصره ، إلا أن الشيخ علي بن أبي بكر السكران قال فيه:

عَفِيفُ الدِّينِ عَبْدُ اللّهِ أَكْرِمْ　　بذاكَ الفَحْلِ والحَبْرِ الجَلِيلِ
أَبِ الأشرافِ مَعْدَنِ كُلِّ جُودٍ　　وبحرِ العلمِ سَيِّدِنا الفَضِيلِ

رحمه اللّه رحمة الأبرار .

سلسلة نسب الأبناء الثلاثة

هم بَصْرِيٌّ وعَلَوِيٌّ وجَدِيدٌ أبناءُ عبيد اللّه بن أحمد المهاجر ابن عيسى بن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

الإمام بصري بن عبيداللّه

ولد بصريٌّ بن عبيد اللّه بن أحمد في مدينة البصرة من أرض العراق سنة ٣٠٥ ، وبها نشأ وتلقى باكورة المعارف العلمية ، وكان اسمه الأول إسماعيل، ولُقِّبَ ببَصْرِيٍّ إلا أن اللقب صار فيما بعد أكثر شهرةً من الاسم .

انتقل من البصرة إلى حضرموت مع قافلة جده المهاجر وأبيه عبد اللّه وعمره إذ ذاك حوالي الثانية عشرة .

نال البصري نصيباً وافراً من رعاية جده المهاجر ، فقرأ عليه في الحديث والتفسير ، وتأدَّب به ، كما حظي باهتمام والده عبيد اللّه وأخذ عنه علوماً كثيرةً ، خصوصاً بعد عودته من الحرمين وتصدره في الوادي .

نبغ الإمام بصريٌّ مبكراً وظهر عَلَماً في الحديث وروايته ، وأسهم في بناء مدرسة الإمام المهاجر إسهاماً ظهرَ أثرُه على الآخذين والمتلقين عنه من طلبة العلم ومن أولاده ، كالعلامة سالم بن بصري .

كما انتفع به أخواه علويٌّ وجديدٌ ، وكانا له في علمه وعمله ونشاطه الديني والاجتماعي خيرَ مساعدينِ ورفيقينِ ، خصوصاً بعد

تحمُّل بصريٍّ خلافةَ العلم بعد انتقال والدهم عبيد اللّه بن أحمد سنة ٣٨٣ .

أنجب بصريٌّ ذريةً صالحةً تسلسل فيها العلم والعمل ، ولكن أخبارهم وآثارهم اندثرت ولم يبق منها شيء ، وقد أشار المؤرخ العلامة محمد بن علوي في كتابه « غرر البهاء الضوي » إلى ذلك فقال ص١١٦ : وقد عَدَّ صاحب كتاب « الدُّرِّ الثَّمين » ستَّةً من الفضلاء من ذرية الإمام بصري كلُّهم علماءُ أَجِلَّاءُ ومشايخُ فُضلاء، اندثرت جل أخبارهم ، وذهبت غالب آثارهم . اهـ . . إلا أنَّ ما حَفِظَتْهُ لنا تراجمُ الشيوخ عن ولدِه سالم بن بصري يعتبر مَلْمَحاً كافياً عن أثر الإمام بصري في زمنه وعهده .

الإمام سالم بن بصري

ترجمتْ « البرقة المشيقة » و« الغرر » و« المشرع » لهذا الإمام النحرير ، وكذا بقية كتب التراجم ، وأجمعوا على بلوغه رتبة الاجتهاد بجدارة ، مع كمال الورع والتقوى ، وكان جل انتفاعه من أبيه الإمام البصري ، بل هو صورته ومثاله، كما انتفع بجملة من مشايخ عصره ، كالشيخ العلامة سالم بن أبي فضل ، ورحل في

سبيل العلم إلى الحرمين الشريفين ، ومر ببقية مدن اليمن وعواصمها العلمية ، وأخذ عن عدد من علماء أمصارها.

كما حصل على الإجازات والأسانيد العالية ، وأذن له مشايخه في الإفتاء والتدريس ، وكان أول ظهوره بالحرمين حيث أخذ عنه الطلاب والمريدون بها قبل عودته إلى حضرموت .

ولما عاد من رحلته التي دامت عدة أعوام ، برز في وادي حضرموت علماً لا يجارى خصوصاً في مدينة تريم ، وكانت إذ ذاك مصدر إشعاع وانتفاع ، وبها من العلماء والمجتهدين عشرات الرجال.

وكان من جملة من أخذ عنه السند وسمع منه الرواية وانتفع بما عنده من العلوم شيوخ تلك الحقبة المباركة ومنهم الشيخ محمد بن أبي الحِبّ ، والشيخ علي بن أحمد بامروان ، والشيخ القاضي أحمد باعيسى ، والشيخ علي بن محمد الخطيب ، والإمام الفقيه المقدم محمد بن علي .

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر والمصر خلال القرن السادس الهجري ، حتى إنهم بلغوا في تريم وحدها ممن وصل درجة الإفتاء ثلاث مئةَ مفت، ولكنهم جميعا قد اعترفوا بفضل الإمام سالم

البصري وجلالة قَدْرِه علماً وعملاً ، خصوصاً أنه قد رَدَّ بدعة الخوارج ودحض شيوخها بالحجة والبرهان ، إتماماً لما سبقه به الإمام المهاجر رضي اللّه تعالى عنه .

وقد ذكرت كتب التراجم حكايةً تُشير إلى مكانة ومقام الإمام سالم بن بصري في عصره ، وملخصها أن والي تريم اجتمع بالعلماء وطلب منهم أن يُظهروا له أفضلهم علماً وعملاً ، فاتفقوا على تقديم الإمام سالم بن بصري، فما كان من ذلك السلطان إلا أن دَبَّرَ مكيدةً للإمام سالم بن بصري ليختبرَه، فأوعز السلطان إلى امرأةٍ من نساء البلاد كانت لها بنتٌ وَضِيئةٌ يشارُ إليها بالحُسن والجمال أَنْ تُزَيِّنَ ابنتَها وتحتال على الشريف سالم كي يدخلَ عليها وتراودَه عن نفسه ، وجَعَلَ لها جُعلاً مالياً كبيراً .

قامت المرأة بإعداد ابنتها كما طلب السلطان وترقبت في بعض الطريق عودة الإمام سالم من زيارته للمقابر كما هي عادته كل يوم، فلما عاد توسلت إليه المرأة أن يقرأ على ابنتها شيئاً من القرآن زاعمةً أنها مريضةٌ، فقَبِلَ وسار خلفها حتى دخل ورأى الفتاة على غايةٍ من الزينة والجمال ، وقبل أن يقرأ أغلقتِ الأمُّ بابَ الدار عليه من الخارج وتركتْه مع ابنتها التي قامت تتلطف بالإمام وتراوده عن نفسه .

استعظم الإمام سالم ذلك الأمر ، ولم يجد بُدّاً من إخراج نعله وأخذ يضرب بها الفتاة على وجهها وجسمها وهو في شدة الغضب والانفعال ، ثم خرج من المنزل مسرعاً والفتاة تصرخ بأعلى صوتها مما حَلَّ بها ، إذ جاءت أمُّها فرأت ما يَهُول ، وقد صار موقع كل ضربة من النعل حَزازةَ جُذام ، فجُنَّ جُنونُها وهرعت إلى السلطان تعلمه بالأمر ، فجاء ورأى ما حَلَّ بالفتاة فتيقَّن عِظَمَ حالِ الإمام سالم ، فما كان منه إلا أن أرسل إليه واعتذر له غاية الاعتذار وطلب منه الصفح عن الفتاة وأمها ، وأن يدعوَ اللّهَ لها بالشفاء من الجذام ، فقَبِلَ الاعتذار وصفح عن الفتاة وأمها ، ودعا لها بالعافية فشفاها اللّه . وقد تناولت كتب التراجم بعض تفاصيل حياته واختلفوا في وفاته ، فقال بعضهم : إنه مات مقتولاً ؛ ولكن السيد الشاطري في « الأدوار » أكَّد وفاته على فراشه عام ٦٠٤ ، ودفن بتربة زَنْبَل بتريم .

كان هذا هو أحد ثمرات العطاء الإلهي الذي مُنَّ به على الإمام البصري بن عبيد اللّه ابن الإمام المهاجر(١) .

---

(١) أجمعتْ كتب التراجم على انقراضِ ذرية الإمام بصري في منتصف القرن السابع الهجري ، ولم يبق منهم بعد هذا القرن أحد .

وقد انقضت حياة الإمام البصري على خير ما تنقضي عليه حياة العلماء والعظماء الأفذاذ ، ما بين علم وعمل ونفع وانتفاع وإصلاح بين الناس ، وحتى ناداه منادي مولاه فلبى النداء راضيا ، ودفن بقرية سُمَل ، ولا زال قبره معروفاً بها إلى اليوم ، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

الإمام جديد بن عبيداللّه بن أحمد المهاجر

هو أصغر أولاد عبيد اللّه ، وأمه أم ولد ، تزوجها عبيد اللّه بعد انتقاله من الحُسَيسة إلى قرية سُمَل بعد وفاة والده عام ٣٤٥ .

نشأ جديدٌ تحت رعاية أبيه واهتمام أخويه بصري وعلوي ، ونما وترعرع في جوٍّ من النشاط الاجتماعي والحماس الديني المنبعث من نشاط بيئة الإمام المهاجر ، حفظ « جديد » من القرآن شيئاً كثيراً ، وأخذ أسس العلوم الشرعية وكذا اللغوية والقرآنية على يد جملة من الشيوخ ، ويأتي في مقدمتهم أخواه بصري وعلوي .

وقد كان عصر الإمام جديد عصر اهتمام ومثابرة وتنافس شريف على طلب العلم والأخذ عن الشيوخ ، ولهذا بذل كل ما في وسعه ليكسب رهان العلم والعمل متمثلا معنى قول الشاعر :

لا تَحْسَبِ المَجْدَ تَمراً أنتَ آكِلُهُ   لن تَبْلُغَ المجدَ حتّى تَلْعَقَ الصَّبِرا

ولكن جديداً أبدع بين أقرانه حتى جاوزهم وسبقهم إلى التحصيل ، وأخذ عالي المعارف والعلوم وحققها ، مما قرّ به عين أبويه وأخويه ، فكان بعد ذلك سنداً لهما ، وعضداً لدعوتهما ، يسافر من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى أخرى ناصحاً ومذكراً ومعلماً ، يتألف قلوب العوام ، ويجادل المخالفين بالحسنى مع استشهاده بالحجج البينة ، حتى تأدب له الجميع ، وانطوى تحت لوائه الجمُّ الغفير من أهل البدع والمخالفات .

أذن الإمام عبيداللّه إبان مرحلة تصدره لولديه جديد وعلوي كي يذهبا إلى بيت اللّه الحرام ، وكلف جديداً أن يرحل إلى العراق لزيارة من بقي هناك من الأقارب ، وربط صلات الوشائج بين الثاوين هناك وبين المقيمين بحضرموت ، وفي هذا المعنى كتب صاحب « الجوهر الشفاف » أنَّ سَفَرَ جديدٍ من إلى البصرة كان حينما حج مع أخيه علوي لقبض الغلات وزيارة الأقارب ، وأنه رجع ماراً بشواطئ الخليج ، ودخل الأحساء ، والقطيف ، وعمان، وانعطف إلى ظفار .

وفي هذه الرحلة اتسعت دائرة الأخذ والإسناد والاتصال بكبار

علماء الإسلام في البلدان التي زار فيها وعبر فيها ، وفي هذا الصدد كتب المؤرخ عبد اللّه بن نوح ما مثاله ص١٠٢ في ذيل كتاب «الإمام المهاجر» :

جديد : ولد بحضرموت وبرز بإذن والده إلى جانب أخويه في حلبة التدريس ، ورواية الحديث وإجازته ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ ، وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب .

استحسن الإمام جديدٌ الانتقالَ من قرية سمل بعد وفاة والده عام ٣٨٣ إلى قرية بيت جُبير على مقربة من مدينة تريم التاريخية ، وتدَيَّر هناك واتخذ عقاراً ونخيلاً ، وتصدر في القرية للتدريس والنفع العام والخاص ، وحرَّك فيها أيدي العوام والخواص بالزرع والضرع ، والاكتفاء بموارد القرية وتطويرها وتحسين نوعياتها الزراعية والحيوانية ، حتى صارت في عهده إحدى المناطق الخصبة المشار إليها بالبنان ، وازدحم الطلاب في تلك القرية ينهلون من المعين الدافق ، كما تأثر الجميع بلطفه وكرمه الواسع ولطف أخلاقه وسَعَة صدره للناس وعذوبة منطقه ، ورزقه اللّه في تلك القرية ذريةً مباركةً أدرك بعضهم ردحاً من عمره ، وأخذوا عنه الأخذ التام ، وتسلسل فيهم وفي من جاء من بعدهم شرف العلم والعمل

والاستقامة ، وحب العمل والاعتناء بطلب الرزق الحلال ؛ إلا أن القضاء والقدر جرى مجراه فلم يبق من آثار هـؤلاء الرجـال إلا النادر، كما انقرض هذا البيت المبارك مثل انقراض بيت آل بصري في منتصف القرن السابع الهجري .

كتب صاحب « الغرر » : والسيد الإمام الشيخ جديد بن عبـد اللّه الغالب عليه وعلى ذريته التبحر في فنون العلم والزهد والورع ، ولم يبق أحد منهم إلا ثلاثة فقهاء علماء ، وخمسة قـد طُمِسَـتْ أسماؤُهم في « الدر الثمين » الذي انقطعت منه أوراقٌ حكى فيهـا أخبارهم ومآثرهم وفضائلهم، وكلهم شافعيةٌ أشعريةٌ على عقائـد أهل الكتاب والسنة[1].

وكتب أيضا صاحب « الغرر » ثم إن بني جديد انقرضوا كـبني بصري ، وآخر موتاهم امرأةٌ بزبيد اسمها جديدة ، وعد صـاحب

---

(١) « الدر الثمين » ، أو « الياقوت الثمين » ، كتاب مخطوط اعتنى مؤلفه فيه بتراجم السادة العلويين منذ حلول الإمام المهاجر ، ولكن الإهمال وطول العهد بالتـأليف تسبب في تمزق بعض أوراق هذا الكتاب ، حتى إن صاحب الغرر خلال القـرن العاشر يشكو من تمزقه ، وأن ذلك كان سببا في طمس كثير من أخبار بني بصري وبني جديد وآثارهم ، ولكن هذا الكتاب يعد الآن معدوما ولا يعرف له مكان ما عدا اسمه الوارد.

((الياقوت)) –أي: ((الدر الثمين))– منهم اثني عشر شيخاً عالماً ، اندثرت أخبارهم ، ومناقبهم في الكتاب ، ولهم مآثرُ عديدةٌ لم يبق منها إلا مسجدهم المنسوب إليهم في حاميتهم بتريم .

بنوجديد.. رجال العلم والعمل..

سبقت الإشارة إلى انطماس آثار هذا البيت المبارك بانطماس بعض المؤلَّفات ، وكذلك انقراضهم في منتصف القرن السابع الهجري إلا أن ما بين أيدينا من التراجم ذكرت بعض المناقب لأفرادٍ منهم، ومع أننا قد افردنا للسادة بني جديد كتيبا خاصا في هذه السلسلة إلا أنه يحسن أن نضعهم هنا مرة أخرى نموذجاً ساطعاً يدلُّ على ذلك العصر ورجاله.

١– نور الدين علي بن محمد بن جديد[١].

---

(١) أحد علماء القرن السابع الهجري ، ولد بتريم ونشأ بها ، وترجمت له أمَّهات التراجم كالجَنَدِي في ((تاريخه)) ، وابنِ سَمُرة في ((الطبقات)) ، وترجم له في ((المشرع)) ، و((الغرر)) ، وفي ((البرقة المشيقة)) ، و((العقد النبوي)) .

تلقى أولويات علومه بحضرموت ثم انتقل إلى الحرمين ، وجد في الطلب وزاحم في سبيل العلم بالركب ، نافس الأقران في تحصيل علوم السنة والقرآن ، حتى عظم صيته في الجهات والأقطار والأقاليم ، وسافر إلى الهند والعراق وغيرها

من البلاد ، ولما قدم إلى عدن بعد عودته من الحرمين أدرك القاضي إبراهيم بن أحمد القريظي فأخذ عنه كتاب ((المستصفى من سنن المصطفى)) ، ثم خرج لزيارة الشيخ مدافع بن أحمد العيني ثم الفقيه الخولاني ببلدة الوجيز ، وتزوج هو وأخوه عبد الملك من ابنتي الشيخ ، وأخذ عن الشيخ مدافع أخذاً تاماً ، وسكنا برهة من الزمن بذي دهيم ، وأخذ الناس الحديث عن الشريف علي بن جديد، وممن أخذ عنه الشيخ الإمام محمد بن مسعود السفالي والإمام أبوالناصر الحميري ، وأحمد بن محمد الجندي ، والإمام حسن بن راشد والإمام الشيخ محمد بن إبراهيم الفشلي ، وكان الفشلي يقول عنه : أبو جديد رجلٌ ثقةٌ من الحفاظ ، ذكره صاحب ((العقد النبوي)) (١: ٢٥٣) .

ولما عاد إلى حضرموت اعتنى بعلوم الحديث وحققها ، ونشر الأسانيد العالية، وأفاد الطلاب بفنون المعرفة التي تلقاها، ويذكر أنه أول من حذف السند من الحديث اختصارا ، واعتمادا على ما عنده من الحفظ ، وما عند تلاميذه من الاستيعاب ، وروى كثيراً من الأحاديث مجردةً عن أسانيدها .

قلت : وهذا كان يفعله بعض العلماء كالنووي في ((الأذكار)) .

كما حقق النسبة الشريفة واعتنى بتوثيقها ، ذكر ذلك الشيخ بامخرمة في ((قلادة النحر)) ، وقال : إنه لما قدم أحمد بن عيسى اعترف له أهل حضرموت بالفضل وما أنكروه ، ثم إنهم من بعد ذلك أرادوا إقامة البينة توكيداً لما ادَّعَوه ، وكان بتريم آنذاك ثلاث مئة مفت ، فسار الإمام المحدث علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت ذلك النسب ، وأشهد عليه نحو مئة عدل ممن يريد الحج ، ثم أثبته مرةً أخرى بمكة ، وأشهد على الأثبات جميعا ممن حج من الحضارم ، وقَدِمَ هؤلاء الشهودُ في يومٍ معلومٍ وشهدوا على رؤوس الأشهاد بإثباته . ومن آثارِه

٢- عبد اللّه بن محمد بن جديد[1].

جزءٌ حديثيٌّ جمع فيه أربعين حديثاً في فضائل الأعمال لا زالت مخطوطة، وكان يعرف عند أهل اليمن بالشريف أبي الجديد ، وورد اسمه كذلك في ((النفحة العنبرية)) لابن أبي الفتوح ، وكان مؤلفها يسرد قضية التباس حاكم عدن في شأنه فقال : ومن ولد عيسى السيد أحمد المتنقل إلى حضرموت ، ومن ولده السيد أبي جديد القادم إلى عدن في أيام مسعود بن طغتكين بن أيوب بن شادي سنة ٦١١ ، فتوحش المسعود منه لأمر ما فقبضه وجهزه إلى أرض الهند ، ثم رجع إلى حضرموت بعد وفاة المسعود .

وقد ورد في بعض تراجمه أن شيوخه بلغوا ألفَ شيخ وبهم بلغ رتبة الاجتهاد، وتفرد بعلو الإسناد ، ونقل عنه الحافظ السخاوي في كتابه ((المقاصد الحسنة)) حديث الخضر عليه السلام عند سماع المؤذن . ذكره في ((شرح العينية)) ص١٤٢.

(١) الشيخ المستنير عديم النظير في عصره، صاحب علم وورع وزهد وأخلاق عالية ، ولد بتريم ، ومات بها سنة ٦٠٨ ، بقي من الآثار الدالة عليه رسالة تعزية في وفاته كتبها الشيخ العلامة ابن أبي الحِب الحضرمي لأخيه محمد بن جديد يقول فيها : لقد ساءنا بُعْدُه ، وأوحشنا فَقْدُه ، وإن فجيعتَنا به أعظم من فجيعتك ، وروعتَنا لفراقه أعظمُ من روعتك ، فكيف لا يكون ذلك وهو أليفُنا في مكاننا ، وشريفُنا في زماننا ، وهو أحد علمائنا وأوتادنا ، ولقد كان نعم العون في الشدائد والنوائب المدلهمّة ، والمدَّخَر لَمخْشيّ العواقب المهِمَّة ، والمَعاطِب المُلمَّة :

وبالكُرْهِ منّا فَقْدُهُ وفراقُه   ولكنَّ خَطْبَ الدَّهْرِ بالناس مُوقَعُ

٣- عبد الملك بن محمد بن أحمد بن جديد(١).

الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر

الإمام الذي حفظ اللّه به ذرية آل البيت النبوي بحضرموت إلى اليوم ، إذ لم يبق من ذرية أخويه بصريٍّ وجديدٍ أحدٌ بعد القرن السابع كما تقدم ، وُلد علويٌّ بحضرموت ، وعلى الأرجح كان مولده بالحسيسة ، وقيل : في سُمَل ، وهو أول من سُمِي علويّاً ، وإليه ينتسب أشراف بني علوي وآلُ علوي في مشارق الأرض ومغاربها .

نشأ تحت رعاية أبويه ، وانتفع بأخيه بصري ، وأشرقت شمس حياته على همةٍ عالية ، ونفحاتٍ قرآنيةٍ ونبويةٍ زاهية ، فبيئته بيئة العلم والنور القرآني ، وأهله أهلُ معدن الحق والفتح النوراني ،

وكُلّ ما ذَخَرناهُ لكُلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ الرَّزايا بالذخائرِ مُولَعُ

(١) الفقيه العالم العامل البارع في أنواع العلوم المتقن لسائر المنطوق والمعلوم ، اعترف له علماء زمانه بسبقه في كافة علوم الشريعة ، فكان مرجعاً في الحديث والتفسير والفقه ، اندثرت أخباره وآثاره كما هو حال غيره من أهل بيته ، توفي عام ٦١٤ وراجع ((الغرر)) ص١٢٣ .

ومنزله محط نظر الأمة كلها ، فلا غرو أن ينشأ هذا الغلام متطلعا إلى المعالي ساعياً إليها كما هي ساعيةٌ إليه ، ولم تخب نظرات أبيه ولا تصورات جده فيه ، بل زرعت المواعيد في عنفوان شبابه ، وبرز الإمام علوي فذّاً قَوِيَّ الحجة سريع البديهة ، مهيب الطلعة ، يحظى باحترام الخاص والعام .

لم يكد الإمام علوي بن عبيد اللّه يجمع في صدره كتاب اللّه حفظاً وتحقيقا ، ويستوعب مجريات العلم من حديث وتفسير ولغة وتاريخ وسير وغيرها من العلوم المتداولة في محيط أسرته المباركة ، حتى تطلع إلى المزيد فوجَّهه والده إلى الحرمين الشريفين ، فمكث بها بضع سنين آخذا في أصول العلوم وفروعها ، ومطلعا على الأسانيد ورواياتها ، ومتضَلِّعاً من معين الشريعة من المجتهدين والمحدثين ، حتى فاق الأقران ، وابتُهج بما جمعه في صدره من تحقيق وبيان .

فعاد إلى حضرموت مزوداً بكمال العلم والحلم ، وتصدر مع إخوانه في الوادي المبارك يصنع الرجال ، ويضيء النور في مشكاة الأجيال ، ويمد الطلاب والمريدين بصافي العلم وثاقب الفهم ، حتى انجلى عن العيون ظلام الجهل ، وأشرق للمريدين نور الوصل ،

واجتهد الناس في إلحاق أبنائهم بحلقات هذا الإمام الفحل .

ترجمت له أمهات كتب التراجم ، أجمع الكل على مقامه السامق، وتفوُّقه في علوم الشريعة وآلاتها مع صدقٍ وإخلاصٍ ونورٍ وعلمٍ وعمل ، ومكابدةٍ ذاتيةٍ في سبيل مجاهدة النفس ، وإقامة حواجز الورع الحاجز ، بل كان على جانبٍ عظيمٍ من السخاء والكرم ، وتلك أرومة هذا البيت وأدب رجاله ، محباً للصدقات محسنا للفقراء والأرمل ، وكان يحمل صدقاته بيديه ويخرج إلى أهل الضَّنَك والعِوَز يُدخل عليهم السرور ويمازحهم وينظر في حوائجهم، وكان له اهتمامٌ واضحٌ بالزراعة وغرس النخيل وأعمال الحراثة متجنباً الدَّعَة والكسل، موزعاً وقتَه بين تعليم الناس وتربية الأبناء وإقامة الأعمال الصالحة والاعتناء بمصادر الرزق والعيش الحلال .

وقد ذكرت كتب التراجم سَعَة إنفاقه على المحتاجين ، حتى إنه في عام حجته عزم معه نحواً من ثمانين رجلاً غيرَ حاشيته وخدمه ، فكان ينفق على الجميع مدة الرحلة ذهاباً وإياباً .

ويبدو أنه رغب في التحول عن سمل إلى بيت جبير ، فاستقر بها مع أخيه جديد واشترى بها نخلاً وعقاراً وابتنى داراً ، وعقد مجالس

العلم والتذكير ، وألزم طلابه الحفظ للحديث ، والتوسع في علوم الفقه والتفسير ، ولربما خرج بهم إلى مكان زراعته ونخيله لكثرة رغبته في مواطن الماء والشجر ، ومحبته للنزهة والتروح في جنان القرية ومزارعها .

وله ذريةٌ صالحةٌ ظهر منهم ولده محمد بن علوي(١)، ترجم له في بعض أمهات التراجم ((كالمشرع)) و((الغرر)) ، ومن أحفاده الأكابر علوي بن محمد بن علوي(٢) .

---

(١) كان محمد بن علوي إماماً وارثاً لأبيه وجده ، ورعاً زاهداً عابداً حَسَنَ الأخلاق لطيفَ الشمائل ، ذا رأفةٍ ورحمةٍ بالمسلمين ، ترجم له في ((المشرع)) و((الغرر)) ، واستظهر عشرات الكتب والمؤلفات والمتون في شتى المعارف والفنون ، وصحب أباه ومن في عصره من الأئمة المجتهدين ، وتفقه على ابن عمه بصري بن عبيداللّه وبرز في علوم الشريعة وفي العربية وآلاتها ، وكان آيةً من آيات اللّه في ظاهره وباطنه ومنطوقه ومفهومه ، وفي كافة أعماله وعلومه .

قال في الغرر : وكانت وفاته ببيت جبير وله من العمر ست وخمسون سنة . انظر ((الغرر)) ص١٢٧ .

(٢) ولد ببيت جبير وتوفي بها سنة ٥١٢ ، وحفظ القرآن وترقى في العلوم على يد والده الذي كان محط الأنظار والأرواح والقلوب ، وبلغ في مدة قصيرة ما يبلغه المجتهدون في الليال الطوال ، وأشارت إليه الأصابعُ في محافل الرجال ، وشهد له الشيوخ بالتفوق في العلوم والأعمال ، ولمحوا في محيّاه إشارات الوراثة العلوية ،

عاش الإمام علوي بن عبيد اللّه حياته كلها في سبيل توطيد دعائم المدرسة التي بنى قواعدها جده الإمام المهاجر وورثها من بعده عبيد اللّه ، وقد تعرض تراثه للضياع كما هو حال تراث أخويه ، حتى إنه لم يعرف تاريخ وفاته ، قال صاحب ((العقد النبوي)) ص٢٦٠-٢٦١ :

وتاريخ وفاته لم يُعرف منه غير قوله في ((الياقوت)) بعد ما انمحق من ذكر الأعوام : ((..وثلاث مئة..)) . رحمه اللّه رحمة الأبرار [1] .

وملامح القبسات النبوية ، حتى قال فيه صاحب ((الغرر)) : كان على غاية من السكينة والتواضع وعدم رؤية النفس ، وكان بذلك مثالاً لصدق الاتباع وللمتبوع الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ وتأدبوا به ، ولم يزل عابداً زاهداً قانتاً للّه آناء الليل وأطراف النهار حتى توفي ببيت جبير ودفن بها ، وله من الولد الإمام الكبير الشيخ الشهير علي بن علوي المعرف بخالع قسم .

(١) راجع ((الغرر)) ص١٢٧ .

الفهرس